

السنة الثانية والتسعون وثلاث مئة

فيها هرب أعيانُ أهل بغداد إلى البَطِيحَة والكوفة وغيرهما؛ من كثرة المصادرات والعملات، وكَبَسَ العَيَّارُونَ الدور، وأخذوا الأموال.

وفيها قُبِضَ على الموقِّقِ أبي علي بن محمد بن إسماعيل وزير بهاء الدولة، وكان قد قَبِضَ عليه أولاً بما ذكرنا، وأصعده إلى القلعة، وسلَّمه إلى أبي العباس أحمد بن الحسين الفراش، وكانت فيه غِلْظَةٌ وفضاظةٌ، وكان قد عرف سوء رأي بهاء الدولة في أبي علي، فاعتقله في حجرة لطيفة، وتركه في وسط الشتاء وشدة البرد بقميص واحد، وعلى كتفه كساءً طبري، فأشفى على التلف، وتمتَّى الموت على ما يُقاسيه، فاستمال الموكلين به، وخذعهم ومَنَّاهم، وأرغبهم بالأموال فأجابوه، وعملوا له زنبيلًا، ودلَّوه بحبلٍ، وسار وقد أعدُّوا له خيلاً، فأصبح ببلاد سابور، فقيل له: اقصد بدر بن حسنويه، وإلَّا مالَكَ طاقةٌ ببهاء الدولة [فأقام على لجاجه وقال: أكتبُ بهاء الدولة وأستصلحُه. فقيل له، فلم يُصغِ، وكتبُ بهاء الدولة] ^(١)، وقال: ما خرجتُ عن طاعتِكَ، وإنَّما خِفْتُ على نفسي التلف، وما أريدُ إلا أن أكون آمناً على نفسي لا غير. فأجابه، وحلف له بالأيمان المُغلَّظة على ذلك، وقاد الناسُ إلى الموفق الخيلَ والبغال، وحملوا الثياب والأموال، فعادت نعمتهُ إلى ما كانت عليه، فأشير عليه بأن يحمل الجميع إلى بهاء الدولة، ويطلب أن يكون منقطعاً في داره ببغداد أو في بعض المشاهد، فما التفت، وأصرَّ على المخالفة، ودخل شيراز، فنزل داراً أُعدَّت له، وفتحَ بابَه، وأقام الحُجَّاب والطَّرادين، وجلس في الدَّست، ودخل عليه الناسُ كما كان وزيراً، فخاف أصحابُ بهاء الدولة، وقالوا: إنَّه يُكاتبُ أعداءك، ويسعى في خراب دولتك. فأخذه وأصعده إلى القلعة، ووكل به أبا نصر منصور بن طاس، فأحسن إليه، وخدمه ووسَّع عليه، وقال: أنا خادمك، ونفسي ومالي لك، وأريدُ منك أن لا تخجلني عند صاحبي. فحلف له على ذلك، وأقام، فجاءه رجلٌ يقال له: الشكري بن حسان، فقال: قد علمتَ فسادَ رأيِ بهاء الدولة فيك، وأنا أَخُذُكَ وأذهبُ إلى الري، وتحصل

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

على الخلاص والملك، فقد علمت ما في نفوس الديلم منك. فقال: قد عاهدت أبا نصر على أن لا أفارق موضعي، ثم قُتل بعد ذلك، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها بعث بهاء الدولة عميد الجيوش إلى بغداد؛ لتدبير أمورها، وكان قد انحلت نظامها، وطمع العيارون فيها، وكثرت الكسبات والعملات، فسار إليها عميد الجيوش، ولم يقدر بهاء الدولة على المسير إليها؛ خوفاً على فارس، ولما قُرب من بغداد تلقاه الناس على طبقاتهم^(١)، فالآن لهم جانب، وسهّل أخلاقه، وأعذب ألفاظه، مع هيئة لم يُر^(٢) مثلها، وزينت له الأسواق بالقباب والأواني [ما لم يعمل في حق غيره] وهرب الدُّعَّار والشُّطَّار [والعيارون] ودخلها في سابع عشر ذي الحجة يوم الثلاثاء، ونُثر عليه الدنانير والدرهم، وأقيم الغلمان في أيديهم مجامر [العود و] البُخُور، وغُلِّفت وجوه الخيل بالغالية^(٣)، ونزل في الزَّبْزَبِ إلى دار المملكة، وخدم الأميرين أبا شجاع وأبا طاهر، وصعد فنزل بباب الشعير، في الدار التي كانت لأبي الحسن محمد بن عمر، وجدّ في طلب العيارين [وكان معظمهم من العباسيين والعلويين]^(٤) وقد استطالوا، فجاؤوه بهم من كل مكان، فكان يقرن العباسي بالعلوي ويفرقهما نهاراً^(٥) بمشهد من الناس، وكذا فعلَ بجماعة من الحواشي والأتراك والمتعلقين بهم، فغرقهم، [فهدأت الفتن] فاستقامت الأمور، وانحسمت المواد، وأمن البلاد والسبل وخاف الغائب والحاضر، وكان كلُّ علويٍّ وعباسيٍّ يستجير بدار أحد من الخواص، فيبعث فيكبس عليه الدار ويغرقه، ويتبع العيارين والمفسدين، فقتلوا وغرقوا، وكفى الله المؤمنين القتال.

وكان من جملة العيارين رجلاً يُقال له: ابن أبي العباس العلوي، فهرب إلى ميّافارقين، فقال عميد الجيوش: هذه مئة دينار لمن يمضي وراءه ويفتك به. وأودعها بعض التجار، وتعيّن شخصٌ لقتله، فبيناهم كذلك إذ ورد الخبر بوفاة العيار، فضحك

(١) ما بين حاصرتين جاء بدلاً منه في (خ) و (ب): وتلقاه الناس.

(٢) في (م) و (١م): يروا.

(٣) الغالية: أخلاط من الطيب، كالمسك والعنبر. المعجم الوسيط (غلا)، وغُلِّفت: لَطَّخت.

(٤) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، وأثبت من باقي النسخ.

(٥) المثبت من (ب)، وبقية النسخ: ناراً.

عميد الجيوش، وقال: هذا قد أراحنا الله منه بغير عزم، اصرفوا هذه الدنانير في الراحة من مُفسدٍ آخر. [واستقامت أمور بغداد على يديه].

وفي ذي الحجة وُلد لبهاء الدولة ولدان توأمان؛ أبو علي الحسن، وأبو الحسين، فعاش أبو الحسين بضع سنين ومات، وبقي أبو علي، وملك الأمر ببغداد، ولُقّب شرف الدولة، ومنع عميدُ الجيوش السُّنّة والشيعَة من إظهار مذهب، ونفَى بعد ذلك ابنَ المعلّم فقيهَ الشيعة من بغداد. ولم يحجّ أحدٌ خوفاً من العرب والقرامطة، وكان قد اجتمع حجّ خراسان، فبلغهم ذلك، فرجعوا.

وفيهما وُلّى الحاكم على دمشق أبا منصور خُتَكينَ القائد، فأساء السيرة، وأخذ الأموال، وظلم، فعزله الحاكم، وسخط عليه، وولى طرملت بن بكار، ففعل أقبح ما فعل خُتَكين، فعزله وأعاد خُتَكين. وقيل: كان ذلك في سنة ثمانين وثلاث مئة. وفيها توفّي

عثمان بن جني^(١)

أبو الفتح، النّحوي، اللّغوي، الموصلي، العلامة، له مصنفات، منها: «اللّمع» و«التلقين» و«التعاقب» و«شرح القوافي» و«المؤنث والمذكّر» و«سرّ الصناعة» و«الخصائص» و«شرح المتنبي» وغير ذلك، وكان أبوه عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي. قال الخطيب^(٢): وكان يقول الشعر، ويُجيد نظمه، ومن شعر عثمان بن جني: [من الهزج]

فإن أصبح بلا نسبٍ
فعلمي في الوري نَسبي
علي أني أوولُ إلي
قروم سادة نُجُوبِ
قياصرة إذا نَطَقوا
أرَمَّ الدهرُ في الخُطْبِ
أولاك دعا النبيّ لهم
كفى شرفاً دعاء نبي

(١) تاريخ بغداد ١١/٣١١-٣١٢، والمنتظم ١٥/٣٣-٣٤، ومعجم الأدباء ١٢/٨١-١١٥، وإنباه الرواة

٢/٣٣٥-٣٤٠. وينظر السير ١٧/١٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/٣٣١.

قال المصنف رحمه الله: قول الخطيب: كان يقول الشعر، ويُجيد نظمه؛ إن كان من هذا الجنس، فسكوته أصلح.

سكن ابن جُنِّي بغداد، ودرس بها العلم، حتى مات يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر، وأخذ الأدب عن جماعة، منهم: أبو علي الفارسي وطبقته، وقرأ عليه النَّحْوَ عَضُدُ الدولة، وكان يُعَظِّمُه. وقيل: إنه توفي بالموصل، وكان ثقةً صدوقاً.

علي بن عبد العزيز^(١)

أبو الحسن، الجرجاني، قاضي الري، سمع الحديث الكثير، وترقى في العلوم، فأقرَّ له الناس بالفضل، وله أشعارٌ حسانٌ منها: [من الطويل]

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما
أرى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
ولم أفضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
إِذَا قِيلَ هَذَا مِنْهُ لَقَدْ أَرَى
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهَجَّتِي
أَأشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً
ولو أنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
ولكن أذلَّوهُ جَهَاراً^(٢) فدَنَسُوا
وما زلتُ منحاذاً بعرضي جانباً
أنهزها عن بعض ما قد يشينها
وما كلُّ برقي لآخ لي يستفزني
وأقسيم ما عزُّ أمرئٍ حسنت له
وكم طالبٍ رقى بنعماه لم يصل
وكم نعمةٍ كانت على الحرِّ نعمةً

رأوا رجلاً عن موقفِ الذلِّ أحجماً
ومن أكرمته عزة النفس أكرماً
بدا طمع صيرته لي سلماً
ولكن نفس الحرِّ تحتمل الظماً
لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
إذا فاتباع الجهل قد كان أحزماً
ولو عظموه في النفوس لعظماً
محياء بالأطماع حتى تجهماً
عن الذلِّ أعتد الصيانة مغنماً
مخافة أقوال العدى فيم أولماً
وما كلُّ من في الناس أرضاه مُنعماً
مسامرة الأطماع إن بات مُعدماً
إليه ولو كان الرئيس المعظماً
وكم مغنم يعتده الحرُّ مغرماً

(١) المنتظم ٣٤/١٥ - ٣٥، وبيمة الدهر ٣/٤ - ٢٩، ومعجم الأدباء ١٤/١٤ - ٣٥، وينظر السير ١٧/١٩.

(٢) في النسخ الموجودة والمنتظم: فهان، والمثبت من المصدرين الآخرين وغيرها من المصادر.

وماذا عسى^(١) الدنيا وإن جَلَّ حَطْبُهَا ينالُ بها مَنْ صَيَّرَ الذُّلَّ مَطْعَمًا
وقد ادَّعى قومٌ أن هذه الأبيات للشافعي في هذا الوزن والقافية قصيد منها:

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بعفوكَ رَبِّي كان عفوكَ أعظما
وليس بصحيح، إنما هي للجرجاني، ومن شعره: [من الطويل أيضاً]

إذا شئت أن تَسْتَفْرِضَ المَالَ مُنْفِقًا على شهواتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الإِقْرَاضَ من كَيْسِ صَبْرِهَا عليكَ وأنظِرْها إلى زَمَنِ اليُسْرِ
فإن فَعَلْتَ^(٢) كنتَ الغنِيِّ وإنْ أَبَتْ فكلُّ منوعٍ بعدها واسعُ العُدْرِ
وقال أيضاً: [من الخفيف]

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العيشِ حتى صِرْتُ لِلبَيْتِ والكتابِ جليسا
ليس عندي شيءٌ أعزُّ من العِلْدِ لم فلم أبتغي سواهَ أنيسا
إنما الذُّلُّ في مُخالطةِ النَّا سِ فدَعَهُم وَعِشْ عزيزاً رئيسا
وقال: [من البسيط]

قُلْ لِلزَّمانِ الذي أبدي عَجائِبَهُ اللهُ منكَ ومن تصريفكَ الكافي
اجهَدْ بجَهْدِكَ فيما قد قصَدْتَ لَهُ ففرجةٌ منكَ بين النونِ والكافِ
وقال: [من الكامل]

وأَعَنَّ عن أربابِهِ أربابِ بِهِ قلبي إلى أوصابِهِ أوصى بِهِ
ذي شافعِ يومَ النَّوى أضحى بِهِ سُكْرُ الهوى العذريِّ من أصحابِهِ
أَسْلُوبِهِ عَن كلِّ مَنْ أَحَبَبْتُهُ وأظْلُ دونَ الخَلْقِ مِنْ أسلابِهِ
وتصْبِري^(٣) في الحبِّ ما ألقى بِهِ فأودُّ لو ورَّيتُ عن ألقابِهِ
كم منزلٍ بالأبرقينِ ثوى بِهِ لم يقضِ فيه الصبُّ حقَّ ثوابِهِ
أترى بِهِ في الحبِّ نخوةَ قادرٍ فيسومني للعزِّ لثمَّ ثرابِهِ

(١) في (خ): وما زاد على. والمثبت من (ب).

(٢) في النسخ الموجودة: أقرضت. والمثبت من معجم الأديباء والمنتظم.

(٣) في (ب) وتغيري.

رَشَاءُ إِذَا عَايَنْتُهُ أَثْوِي بِهِ
فَرِحَا بِهِ الظَّلَانُ حِينَ رَأَاهُمَا
وَجَوَى بِهِ قَلْبِي تَضَاعَفَ حُبُّهُ
إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي هَوَاهُ بِغَايِهِ
بَصْرِي وَسَمْعِي فِي هَوَاهُ طَلَابِهِ
وَشَرِي بِهِ قَلْبِي غَدَاةَ فِرَاقِهِ
وَجَنَى بِهِ ثَمَرَ الصَّبَابَةِ يَانِعَا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ مَنْزِلُ أَرْوَى بِهِ
وَمَاتَ الْجِرْجَانِي بِالرِّيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جِرْجَانَ، وَكَانَ يُلقَّبُ
بِقَاضِي الْقِضَاةِ، وَكَانَ حَسَنَ السَّيْرَةِ، صَدُوقًا فَاضِلًا.

[وفيها توفي]

محمد بن محمد بن جعفر^(١)

أبو بكر، الشافعي، ويُعرف بابن الدِّقَّاق، صاحب الأصول، ولد سنة ست وثلاث
مئة، وتفقه، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وتوفي ببغداد في رمضان.

الوليد بن بكر^(٢)

ابن مَحَلَّد بن أبي زياد، أبو العباس، الأندلسي، رحل في طلب العلم إلى مصر
والشام والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر، وسمع الكثير، وكان إماماً عالمياً
بالحديث والفقه، ثقة أميناً، وهو مقدَّم في علم الأدب، توفي بالدِّيَّانور في رجب،
وروى عنه الحاكم وغيره، ومن شعره: [من المتقارب]

لَأَيِّ بَلَائِكَ لَا تَدَكِّرُ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ تَعَتَّبِرُ
فَبَانَ الشَّبَابُ وَحَلَّ المَشْيِبُ
وَحَانَ الرَّحِيلُ فَمَا تَنْتَظِرُ

(١) تاريخ بغداد ٣/٢٢٩ - ٢٣٠، والمنتظم ٣٦/١٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٤٨١، وتاريخ دمشق ٦٣/١١١ - ١١٥.